المحاضرة الثانية:

عبد الملك الجزيري:

يقول عبد الملك بن إدريس الجزيري في نصّ له كتبه على لسان الأزهار في رسالة موجّهة إلى المنصور بن أبي عامر على لسان زهرة البنفسج تحمل في طياتها المديح للمنصور يقول فيها:

" إذا تدافعتِ الخصومُ _ أيّد الله المنصور _ في مذاهبها وتنافرت في مفاخرها فإليه مفزعها،وهو المقنع في فصل القضية بينها لاستيلائه على المفاخر بأسرها، وعلمه بسرها وجهرها، وقد ذهب البهار والنرجس في وصف محاسنهما، والفخر بمشابههما كل مذهب، وما منهما إلا ذو فضيلة،غير أن فضلي عليهما أوضح من الشمس التي تعلونا، وأعذب من الغمام الذي يسقينا، فإن كانا قد تشبّها في شعرهما ببعض ما في العالم من جواهر الأرض ومصابيح السماء، مع أني أعطر منهما عطراً ، وأحمد خبراً، وأكرم إمتاعاً شاهداً وغائباً، ويانعاً وذابلاً، وكلاهما لا يمتع إلا ريثما يمنع، ثم إذا ذبل تستكره الأنوف شمه وتستدفع الأكف ضمه ، وأنا أُمتّع رطباً ويابساً، وتدخرني الملوك في خزائنها وسائر الأطباء، وأُصرّفُ في منافع الأعضاء ، فإن فخرا باستقلالهما على ساق هي أقوى من ساقي ، فلا غرو أنّ الوشي ضعيف، والهواء لطيف، والمسك خفيف ، وليس المجد يدرك بالصراع، وأشعر الناس من أنت في شعره ،فلمولانا أتمّ الفضل في أن يفصل بحكمه العدل".

تعريف بالكاتب:

هو أبو مروان عبد الملك بن إدريس الأزديّ الجزيريّ ت (٣٩٤هـ).من أعلام كتاب الأندلس في القرن الرابع الهجري،وقد عاصر هذا الكاتب الشاعر ابن درّاج القسطلي ، وعمل في ديوان المنصور بن أبي عامر، وقد ترقّى بحنكته في المناصب الإدارية حتى أصبح رئيساً لديوان الإنشاء في عهد المنصور.

أساء إلى كتّاب الديوان، وتهكّم عليهم مراراً، فرفعوا شكايتهم إلى المنصور الذي سجنه، وقد كتب الرسائل المتعددة في استعطاف المنصور إلى أن عفا عنه أخيراً، وأعاده إلى منصبه، لكنه حاول في عهد عبد الملك بن المنصور المشاركة في الانقلاب على الحكم ، فسجنه ، ثم قُتل في السجن.

حازَ الجزيريّ بما أوتي من موهبة نثريّة شعريّة وبديهة وقّادة إعجاب الناس في حياته وبعدها، وأشاد المترجمون له بأدبه وعلوّ مكانته، ونعتوه بأنه فارس النّثر، معدود في أكابر البلغاء ومن ذوي البديهة ، لم يخلف الزمان مثله كتابة وخطابة وبلاغة وشعراً وفهماً ومعرفة ،وبه ختم بلغاء كُتّاب الأندلس.

الخصائص الفنية للنص:

١_ نقلَ الحديث عن الأزهار إلى النّثر بعد أن كان خاصّاً بالشّعر.

٢_ بداية ظهور فنّ المناظرات والمفاخرات. وقد اتّخذت هذه الرسالة طابع المناظرة بين الأزهار، لذلك التمسنا في هذا النص نقلة نوعية للنثر من النثر الإبلاغي إلى النثر البلاغي الذي يهتم بالصورة والصنعة.

٣_ في هذا النص نجد نمطاً جديداً من الرسائل النثرية التي تُعنى بالجانب الفني وهو ما سُمّي بـ (النثر الوصفي)،ويعدّ الجزيري من روّاد النثر الوصفي في الأندلس.

٤_ النص صورة شعرية استعارية تقوم على التشخيص، فقد شخّص الكاتب أنواع الأزهار ، وأجرى الحوار على لسانها، فجاءت الرسالة على شكل محاورة بين البنفسج والنرجس والبهار.

٥_ ظهور الطبيعة الأندلسية بوضوح.

٣_ يعتمد الكاتب على الازدواج في العبارة والجمل الاعتراضية، فمثال على الازدواج: (إذا تدافعت الخصوم في مذاهبها، وتنافرت في مفاخرها).

اعتمد على الجمل الاعتراضية الدّعائيّة: (أيّد الله مولانا المنصور).

٤_ الميل إلى التعقيد والصنعة كالطباق في قوله: (سرّها ، جهرها)،(شاهداً غائباً)، (يانعاً، ذابلاً) ،(رطباً ، يابساً) .والجناس في قوله : (أسرها، سرّها)..، والسجع في قوله: (لاستيلائه على المفاخر **بأسرها**، وعلمه **بسرها وجهرها**...)،(أوضح من الشمس التي تعلونا ، أعذب من الغمام الذي يسقينا)،(الوشي ضعيف،الهواء لطيف،المسك خفيف)...وعدم الالتزام بالسجع.

٥_ استخدام الأمثال والأقوال المأثورة في دعم رأيه ، مثل ذلك قوله:(ليس المجد يدرك الصراع)،(أوضح من الشمس).

٦_ شبّه النرجس بمصابيح السماء وجواهر الأرض معتمداً على ترادف العبارة والازدواج والطباق، كقوله :(شاهداً، غائباً، يانعاً).

٧_ عرضُ الرسالة عرضٌ أدبيّ جماليّ هدفه إظهار التّفوّق والإبداع،وهو نمط من الترف العقلي الزّائد.وتدلّ الرّسالة على اهتمام النّاس بالطبيعة وولعهم بها حكّاماً ومحكومين.

*على مستوى التراكيب والجمل :

_ نجد أن الجمل متسلسلة، فالكاتب يُسلسل جمله بأحكام وبحجج منطقية كما يريد أن يطرقها .

_ أنهى الكاتب رسالته بمقطوعة شعرية يصف فيها البنفسج ، وهي من إنشائه، وبذلك يمزج بين الشعر والنثر ، وهذا ما غلب على هذا اللون من الرسائل تأكيداً على قدرة الكاتب على التأليف في الأدب شعره ونثره.

*على مستوى الألفاظ:

نجد الألفاظ الفصيحة والسهلة والواضحة في النص، باستثناء بعض الألفاظ الصعبة في النطق، بسبب توالي الأحرف المتشابهة من مثل لفظة (مشابههما)، فهي من الألفاظ الغريبة الوحشية، أما النص فقد اعتمد على الدقة اللغوية مع البساطة في التعبير في آن معاً، وابتعد عن الوحشية والغرابة.

*موسيقا النص:

أعطى الازدواج في العبارات حركة متدافعة ،فالجمل القصيرة التي اتكأ بعضها على بعضها الآخر أدّت إلى سرعة الحركة الموسيقية الداخلية وغناها في النص، وهذا الفن الموسيقي نجم عن السجع الذي بدأ بسيطاً ثم أصبح مركّباً، ولم يلتزم به الكاتب كاملاً ، فقد ابتعد عنه في بعض الأحيان،وكذلك التنوين الذي أعطى نهايات الجمل موسيقى تُشبه السجع، نحو:(ذابلاً ،عطراً، خبراً، يانعاً، شاهداً، غائباً)، وقد اعتمد الكاتب على الصور وسيلة إلى تجويد العبارة من خلال الترادف والطباق.

خاتمة:

إذا كان المشرقيون قد وصفوا الأزهار شعراً فإن الأندلسيين برعوا في ذلك نثراً ،فالرسائل التي فاضلت بين الأزهار أصبحت ظاهرة مستقلة بذاتها في

النثر الأندلسي في القرن الخامس الهجري، إذ اعتمدت الأسلوب القصصي مع الابتكار والتجديد، والطرافة في الموضوع ، وأبرز ما يُميّز هذا اللون من النثر اعتماده على الموروث الثقافي في تدعيم النثر بالشعر، والاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، وقد أشار د. إحسان عباس إلى قضية الرمز في هذه الرسائل عندما درسها.